عرفانية السيد عبد الأعلى السبزواري وآثاره العلمية

الباحث الأستاذ الدكتور
حسين علي حسين الحسناوي صباح عباس جودي عنوز
جامعة الكوفة كلية الفقه

عرفانية السيد عبد الأعلى السبزواري وآثاره العلمية

الباحث الأستاذ الدكتور
حسين علي حسين الحسناوي صباح عباس جودي عنوز
جامعة الكوفة كلية الفقه

المقدمة

ابتدئ بحمد الله والثناء عليه الذي اسبغ علينا من النعم ما تنوء الالسن بعمدها، والافئدة عن حصرها .والصلاة والسلام على رسوله النبي الأمي والرحمة العظيمة الذي بلغ ونصح وادى وبالغ فأخرج الله به من خرج من تيه الظلام الى نور الهدى، وعلى اهل بيته المعصومين، حجة الله على العالمين، وبعد ....

ان من الضروري تسليط الضوء على الشخصيات الاسلامية الكبيرة،ولاسيما الفقهاء العظام والمفسرين الكبار، لان الفقه اشرف العلوم لانه هو الغاية، فالعبادة لا تتم الا به، وكذلك التفسير لان القرآن الكريم كتاب الله الذي فيه تبيان لكل شيء.ان السبب الذي يحدو المفكرين عموماً وعلماء الدين بشكل خاص، لتلسيط الضوء هذا، هو محاولة الوقوف على القواعد والقوانين التي قضى فيها العلماء جل عمرهم في اكتشافها وتنقيحها وتهذيبها.

ومحاولة تطوير هذه القوانين والقواعد، للآتين، وهذه الطريقة التي سارت عليها البشرية في تحقيق التقدم في مجالات المعرفة .

وما نحن فيه إلماحة سريعة لسيرة آية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره لا نتحدث فيها بتفصيل او تحليل الا عن شيء واحد وهو الجانب العرفاني الشرعي في حياة السيد رضوان الله تعالى عليه .

وقد اقتضت طبيعة البحث ان يكون من تمهيد وفصلين وخاتمة فتناولنا في التمهيد العرفان لغةً واصطلاحاً وميزنا بين العرفان والكرامة اما الفصل الاول فقد تضمن العرفان بصورة عامة نشأته وأساسه وأقسامه والفصل الثاني خصصناه لحياة السيد الشخصية والعلمية وعرجنا على حياته الاخلاقية العرفانية وما كان منهجه من العرفان .

وان اعظم صعوبة واجهتني في كتابة بحثي المتواضع هي صعوبة حصولي على المعلومات الكافية لان السيد متوفي حديثاً وقد اعتمدت على عدة مصادر منها: مواهب الرحمن في تفسير القران للسيد السبزواري وجمال السالكين للسيد حسين نجيب محمد وفلسفة العرفان للشيخ العاملي وانا اقر واعترف بان بحثي يحتوي على وهنات فارجو من أستاذتي قبوله وان لا تحتسب علي كوني مبتدأ واطمح ان اكون عند حسن ظنهم .

التمهيد :

العرفان في اللغة: من عَرَف عرفته معرفةً وعرفاناً .

العُرف: الاسم من الاعتراف ومنه قولهم: لَه علي ألف عُرفاً أي اعترافاً وهو توكيد، واعرورف البحر أي ارتفعت امواجه .

والاعراف التي في القرآن سور بين الجنة والنار، والعارف الصبور، يقال: اصيب فلان فوجد عارفاً، ورجل عروف أي عارف والعارف بمعنى العليم والعالم،والعريف النقيب وهو دون الرئيس، والجمع عرفاء، والتعريف:الاعلام والتطيب [١] (وعرف (عرفةً وعرفاناً ومعرفةً) الشيء علمه عرف الشيء طيبه،عرف الامر: اعلمه اياه والعرفان نص المعروف: ضد المنكر)[٢].

فالعرفان في اللغة له عدة معاني: الاعتراف، والإقرار، والتطيب، والعلم المتكثر، البيان والايضاح، والصبر والمصابرة، والدراية والاطلاع، والنقابة .

العرفان في الاصطلاح: ((ما استقر في النفوس من جهة شهادات العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول، وهو علم من العلوم الالهية وموضوعه معرفة الحق واسمائه وصفاته))[٣] وهو الطريق الذي ينبغي لسالكه ان ينسى كل شيء سوى الله تعالى[٤] ((يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ظل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون)) المائدة 105.

والعرفان: هو الطريق الرئيسي الذي ينتهي بالانسان الى الهداية الواقعية الكاملة وهو طريق النفس الانسانية الذي يجعله يترك السبيل الاخرى ليرى من هذا الطريق فإنه سيدرك مطلوبه الحقيقي[٥].

الفرق بين العرفان والكرامة :

الكرامات: احداث متعددة، فقد تكون على اشكال وصور مختلفة كظهور الطعام الجاهز والشراب البارد واللباس من الغيب عند الحاجة، او الطيران في الهواء او المشي على الماء او التنبؤ بأحداث لبعض الاشخاص كحالات الزواج او الولادة، وغيرها من احداث دنيوية مستقبلية[٦].

فالكرامات نتائج الطاعات ولابد ان يكون بينها وبين الاعضاء المطيعة التي تصدر عنها مناسبات وهذه الاعضاء هي العين والاذن واللسان واليد والبطن والفرج والرجل والقلب اذ كل واحد منها عليه تكليف يخصه من انواع الاحكام الشرعية فإذا قام بها العضو المكلف تصدر تلك الكرامات عنها.

وللكرامات انواع اذكرها بشكل مختصر :- حسية ومعنوية

الاولى: أي الحسية تخص عامة الناس مثل المشي على الماء واختراق الهواء .

والثانية: المعنوية فهي لا يعرفها الا الخواص من عباد الله حيث يوفقهم الله لاداء فرائضه في اوقاتها والمسارعة في فعل الخيرات.... [٧] .ومن هنا تبين ان العرفان طريق سير وسلوك والكرامة هدية من الله لعباده نتيجة طاعتهم .

العرفان وممارسة السحر والرياضيات الجسدية

ينبغي ان نميز بين مسلكين مختلفين واتجاهين متضادين احدهما يكون بالاشتغال بعرفان النفس للحصول على بعض الاثار الغريبة الخارجة عن الطريق المألوف المبني على قانون الاسباب والمسببات المادية كأصحاب السحر والطلسمات وارباب تسخير الارواح سواء كانت ارواح الكواكب او الموكلين على الجن وارواح الآدميين واصحاب الهمم والدعوات والعزائم وارباب الذكر واصحاب الشعوذة وغير ذلك، وقد قلنا ان لا تخرج عن حيطة المادة وان حقيقة النفس مغايرة لما عليه هؤلاء فهم نالوا شيئاً من اثار النفس ولكنهم غفلو عن واقع النفس وفاتتهم معرفة حقيقتها .

اما الاتجاه الاخر فيمثله المشتغلون بمعرفة النفس والغوص في حقيقتها ومعرفة خصوصياتها مما يثنيها ويزينها وامراضها وادوائها وغير ذلك مما لابد من معرفته ولابد في هذا الطريق من الانصراف عن الامور الخارجة عنها[٨].

الفصل الأول

العرفان

تعريف العرفان او مفهوم العرفان: (هو ما استقر في النفوس من جهة شهادات العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول)[٩]. (وهو العلم بالحق سبحانه وتعالى وبأسمائه وصفاته ومظاهره)[١٠].

وهو الطريق الذي لابد لسالكه ان ينسى كل شيء سوى الله تعالى الطريق الرئيس الذي ينتهي به الى الهداية الواقعية الكاملة وهذا الطريق الذي يسلك بالمؤمن الى العالم العُلوي وتقر في قلبه عظمة الله وجلاله، وفي الحقيقة ان هذه الجاذبية هي التي قد اوجدت في عالم الانسان سبيل عبادة الله تعالى[١١].

والعرفان هو اعلى درجة معرفية ومكانة اجتماعية، لذا هو عم شريف لانه علم الهي يختص به الانسان الكامل وهو علم جامع لسلسلة الوجود وبه تتم دائرة العلاقة بين الخالق والخلق، في ارتباط توحيدي يجمع (العشق والعاشق والمعشوق)، والذي يختص بهذا العلم يسمى عارفاً وجمعه عرفاء وبما انه لكل علم اهله فالعرفاء هم اهل العرفان، وهم ذوو القلوب المبصرة الذي نهلوا من معين القرآن الكريم ورووا عطشهم بزمزم المعرفة[١٢].

والعرفان ظاهرة عريقة في الحياة الاسلامية مرّت بأطوار من الازدهار والخمود وتركت وما زالت بصمات بارزة في تاريخ الاسلام وادابه، وقد تعددت الاقوال وتباينت الاراء بشأن ما هية العرفان بين قادح ومادح .

التصوف: تعريفه، غايته، تأريخه :

١. **تعريفه:** هو مجاهدة النفس وترويضها ((وهو التخلق بأخلاق الله وثمرة معرفته والاتصاف بالحكمة التي وصف فيها الانبياء))[١٣].

وهو أيضاً الانتصار على النفس والتغلب على ميولها وأهوائها عن طريق التدريب والتهذيب تماماً كترويض الحيوان المفترس على الوداعة، فيصبح وادعاً مسالماً، بعد ان كان شريراً مخاصماً[١٤].

٢. **غايته:** تختلف الغاية من التصوف تبعاً لأنظار المتصوفين فهناك من اعتبره سبباً من اسباب المعرفة فالغاية عنده ثقافية، ومن رآه طريقاً الى الكمال فتكون الغاية عنده اخلاقية، وبعضهم يرى منه طريقاً للخلاص من عذاب الاخرة فتكون غايته دينية، وبعضهم يرى ان التصوف سبباً لهذه مجتمعة(١٥).

٣. **تاريخه:** التصوف يمتد الى ما قبل الاسلام وقد تسرب الى الفكر الاسلامي كغيره من الافكار الاجنبية فالاسلام ينكر وينفي التصوف الذي يعني الاتحاد والحلول بوحدة الوجود الذي حاربه الامام الصادق (ع)[١٦].

العرفان والتصوف :

الباحث في علم العرفان لاول وهلة دائماً ما يتصور نحواً من العلاقة بين العرفان والتصوف، ولعل تصوره ناتج من الايحائات المنعكسة عن المظاهر الخارجية لبعض علماء العرفان المحاكية للهيكلية الخارجية لحركة التصوف المتمثلة باللباس الخشن والصوف والعزلة الدائمة[١٧].

هناك فرق كبير بين علم العرفان وحركة التصوف، اما العرفان والتصوف فالاثنان يهدفان الى ترويض النفس والوصول الى الكمال. وقد عرف مشايخ العرفان بوصفهم طبقة علمية بـ (العرفاء)، وبوصفهم شريحة اجتماعية بـ(المتصوفة)[١٨].

ان العرفاء والمتصوفة وان لم يؤسسوا لانفسهم مذهباً مخصوصاً في الاسلام، وانما سجّلوا حضورهم في جميع الفِرَق الاسلامية، ولكنهم في الوقت نفسه شكّلوا مجموعة متكاتفة ومتعاضدة اجتماعياً، فإن افكارهم واراهم المخصوصة في معاشرة الناس وارتداءهم زياً مخصوصاً وحتى استرسال شعر رؤوسهم ولحاهم وسكناهم في الصوامع وغير ذلك ميّزهم كفرقة مذهبية واجتماعية مخصوصة. ولا ينكر ان هناك عرفاء خاصةً من الشيعة لم يتميزا في ظاهرهم عن الاخرين الا انهم كانوا حقاً عرفانيين من اهل السير والسلوك، ومثل هؤلاء هم العرفانيون الحقيقيون دون غيرهم ممن اخترعوا لهم اسماً وبدعاً ليتميزوا ويعرفوا[١٩].

ولابد من الاشارة الى وجود خلط بين مفهوم العرفان الذي لا تترتب عليه أية مؤثرات سلبية على الحياة الاجتماعية للفرد، وانما يسير في مواكبتها ويضفي عليها طابع الاخلاص والتقوى والاستقامة .

ومفهوم اخر هو التصوف الذي يخرج المرء من دائرة الحياة الاجتماعية العادية، ويضعه في عالم اخر يتمرد على الحياة ويعتزلها ويبتعد عنها ويرفعه الى ترجيح العيش في الصوامع والجبال والكهوف بعيداً عن هموم المجتمع .

أي ان العرفان يُعمق في الفرد روح الجماعة بينما يفرس التصوف فيه روح الانعزال والهم الذاتي وهو لا يزدهر الا في عصور التقهقر والانحطاط[٢٠].

العرفان بين القدح والمدح

فالقادح يرى ان العرفان ظاهرة دخيلة على الاسلام او انها بدعة وفدت عليه من أديان او مسالك تطغى عليها هذه النزعة، وللقادحين ادلتهم وبراهينهم، ومن جملتها ان هذا التيار اول ما نشأ وازدهر في القسم الشمالي الشرقي من بلاد فارس الذي يتميز اهله بنزعة روحية عميقة، وكانت ارضه خصبة لمثل هذه التوجيهات والدليل ان ابرز العرفانيين واوائلهم كانوا من تلك البقاع، ويرى القادحون ان التيار الوافد علينا اخذ يتكيف مع ظروف البيئة على مرّ الزمان واكتشف لباساً جديداً يتناغم مع البيئة الجديدة .

اما الرأي الاخر وهو المادح فيرى ان ظاهرة العرفان ظاهرة اسلامية اصيلة في جذورها ومنطلقاتها، التي بذورها الرسول (ص) بين اتباعه وتمسك بها الكثير من الصحابة، حتى اصبحت هي الطابع القالب على حياتهم وبما عرفوا واشتهروا، وافضل دليل على ذلك هو كثرة الاحاديث التي تحت على الزهد في الحياة والاستزادة من الغذاء الروحي، وتحض المؤمن على الزهد والتقوى، وتبشر الزّهاد والمتقين بجميل الثوبة في دار الاخرة لقاء التخّلي عن شيء من متاع الدنيا .

والحقيقة ان العرفان له جذور موغلة في قدمها مع الاسلام وتبرز معالمها واضحة في الروايات الشريفة والخطب وفي الاحاديث القدسية، وان التمسك بما ورد في الاحاديث من ارشادات ومضامين كفيل ان يجعل الانسان على اعلى درجة من التقوى ويجعل شخصيته روحية ويجعله يتعامل مع عالم الروح بدل عالم المادة[٢١].

اسس العرفان الاسلامي :

يقول العرفاء ان العرفان الإسلامي علم مثل الفقه والأصول والتفسير والحديث أي من العلوم التي اخذ المسلمون أسسها وموارّدها الاصيلة من الإسلام ووضعوا لها قواعد وضوابط وأصول كشف .

اما المستشرقون كانوا ولا يزالون يصرون على أن العرفان والأفكار اللطيفة والدقيقة كلها انما جاءت الى العالم الإسلامي من خارجه، ويقولون حيناً بأنه من أثار المسيحية ويقولون بأن الأفكار العرفانية انما هي نتيجة لاحتكاك المسلمين بالرهبان المسيحيين، ويقولون حيناً اخر بأنه ردّ فعل من الايرانيين ضد الاسلام والعرب، ويقولون ثالثةً بأن حصيلة الفلسفة الأفلاطونية الجديدة والتي هي بدورها حصيلة لامتزاج افكار ارسطو وافلاطون وفيثاغورس، ولون من الكتابات الاسكندرية وآراء وعقائد اليهود والمسيحيين، ويقولون رابعة انه نشأ من افكار بوذية .

وكذلك فالمعارضون للعرفان الاسلامي كانوا ولا يزالون يسعون للقول بأن العرفان غريب عن الاسلام بالمرة، وان له جذوراً غير اسلامية والشيء المسلم به عند العرفاء ان العرفان الاسلامي استقى اسسه الاصلية من الاسلام، ومن الاسلام وحده، ولا يرضون بغير هذا الرأي بأي وجه[٢٢].

فئات العرفان :

الافكار العرفانية في الرؤية الحوزوية تتقلب بين فئتين :

الفئة الاولى: وهي التي ترى بأن الفكر العرفاني هو احد العلوم التي يقال في حقها (علم لا ينفع من علمه، ولا يضر من جهله) وطلبه وتحصيله مضيعة للعمر، وكاشف عن الضعف الكامن في الشخصية العلمية وهذه الرؤية معارضة للوجدان لما هو معلوم من ان كبار علماء العرفان يعدّون من اجلاّء العلماء والفقهاء على المستوى الحوزوي[٢٣].

الفئة الثانية: هي التي ترى بأن الفكر العرفاني احد العلوم الاسلامية الجليلة التي تلعب دوراً كبيراً في اثراء الحركة العلمية والفكرية على الصعيدين الفلسفي والكلامي. مضافاً لدوره الفعال في ترسيخ ايمان الفرد والمجتمع والبلوغ بهم الى اعلى مدارج الكمال .

ومن ابرز رواد هذه الفئة (الملاّ صدر الدين الشيرازي) المعروف بصدر المتألهين الذي سلك مسلك العرفاء فاستطاع ان يثري المدرسة الاسلامية بأدق النظريات الفلسفية المهمّة، ويرى صدر المتألهين ان المعرفة تحصل من طريقين :

1- طريق البحث والتعلّم والتعليم الذي يستند على الاقيسة والمقدمات المنطقية .

2- طريق العلم اللدني الذي يحصل عن طريق الالهام والكشف والحدس[٢٤].

اقسام العرفان :

القسم الاول: العرفان النظري: وهو (ما يقوم بتفسير الوجود ويبحث بشأن الله والعالم والانسان وهو يشبه الفلسفة الالهية في هذا القسم من جهة تفسير حقيقة الوجود وتوضيحها، وكما ان للفلسفة الالهية موضوعاً ومبادئاً ومسائلاً، فإن للعرفان أيضاً موضوعاً ومسائلاً ومبادئاً، ولكن الفلسفة من جهتها تستند في استدلالاتها الى المبادئ والاصول العقلية فقط، اما العرفان فإنه يجعل المبادئ والاصول الكشفية اصل الاستدلال ثم يقوم بتوضيحها بلغة العقل وقلمه)[٢٥].

القسم الثاني: العرفان العملي: وهو (الجانب الذي يبيِّن العلاقات والواجبات المفروضة على الانسان مع نفسه ومع العالم ومع الله) [٢٦] ويسمى هذا القسم من العرفان بـ (السير والسلوك) وفيه يشار ويوضح للسالك

كيف يجب ان يبدأ، ومن اين يسلك للوصول الى قمة الانسانية المنيعة وهي (التوحيد الحق) وما هي المنازل والمراحل التي ينبغي ان يطويها بالترتيب[٢٧].

العرفان عند الامام علي بن الحسن (ع) :

عن ثابت البناني قال: كنت حاجاً وجماعة عباد البصرة مثل ايوب السجتاني، وصالح المري، وعتبة الغلام، وحبيب الفارسي،ومالك بن دينار، فلما ان دخلنا مكة رأينا الماء ضيقاً، وقد اشتد بالناس العطش لقلة الغيث، ففزع الينا اهل مكة والحجاج يسألوننا ان نستسقي لهم فأتينا الكعبة وطفنا بها، ثم سألنا الله خاضعين متضرعين بها فمنعنا الاجابة فبينما نحن كذلك، اقبل فتى علينا وقد اكربته احزانه واقلقته اشجانه فطاف بالكعبة أشواطاً ثم اقبل علينا، فقال يا مالك بن دينار ويا ثابت الغياني ويا صالح المري ويا عتبة الغلام ويا حبيب الفارسي ويا ايوب السجتاني فقلنا: لبيك وسعديك يافتى، فقال، اما فيكم احد يحبه الرحمن؟ فقلنا: يا فتى علينا الدعاء ومنه الاجابة، فقال: ابعدوا عن الكعبة فلو كان فيكم احد يحبه الرحمن لاجابه، ثم اتى الكعبة فخر ساجداً فسمعته يقول في سجوده: سيدي بحبك لي الا سقيتم الغيث، قال فما استتم كلامه حتى اتاهم الغيث كأفواه القرب، فقلت يا فتى من اين علمت انه يحبك؟ قال: لو لم يحبني لم يستزرني فلما استزارني علمت انه يحبني، فسألته بحبه لي فأجابني ثم ولى عنا وانشأ يقول :

من عرف الرب فلم تغنه معرفة الرب فذاك الشقي
ما ضر ذو الطاعة ما ناله في طاعة الله وماذا لقي
ما يصنع العبد بغير التقى والعز كل العز للمتقي

فقلت يا اهل مكة من هذا الفتى؟ قالوا: علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب[٢٨].

العرفان عند الامام جعفر الصادق (ع) :

العرفان الذي ارسى الصادق (ع) معالمه واوضح سبله في مدرسته هو عرفان توحيدي لا اثر للثنائية ولا للتثليث فيه، فعرفان الامام الصادق هو اسمى ما وصل اليه الفكر البشري لبلوغ الصفاء والتكامل النفسي والروحي، لانه عرفان الهي نبوي علوي، وكان مذهبه من السمو والرفعة بحيث تقاصر عن فهمه وتحليله وتبنيه كثير من الناس سواء في عصره او في العصور التي تلته عندما تشعب العرفان واصبحت له مدارس وفرق متعددة.

تميز عرفان الصادق بالتوحيد وسيظل هذا ديدنه نابذاً الثنائية والتثليث، تاركاً الغلو والسرف في تعريف صفات الخالق او المخلوق، كما حدث للعرفان الاسلامي احياناً في ادوار متأخرة .

وان عرفان الامام الصادق كان بعيداً عن المبالغات والترهات وكان مبني على اساس توحيدي في تنزيه الخالق عن صفات المخلوق، والمخلوق عن الخالق، ولهذا تبعهُ الشيعة وبعض اهل السنة.

ويرتكز العرفان عند الصادق على التوكل على الله وتنفيذ احكامه واوامره، والامتثال لنواهيه دون اهمال شؤون الدنيا او تركها لئلا تضطرب الحياة اليومية وتفقد صفاءها وسعادتها فهو لا يوصي بترك الدنيا للوصول الى السعادة، بل يرى ان السعادة هي في التوكل على الله والتقوى وتقبل حظوظ الدنيا المشروعة[٢٩].

أهمية معرفة الله :

ان من المهم ان نتناول قضية العرفان والمبررات المعرفية والاسباب الداعية الى معرفة العرفان والى قراءة العرفان بل والى منهجة المادة العرفانية بطريقة تسمح لنا بإطلالة واعية ويفهم اهم افكارها واسسها التي تقوم عليها، لما يطرحه العرفان من هدف هو لمساعدة على الوصول الى الله تعالى [٣٠]، وعن اهمية معرفته جل وعلا يقول علي (ع): (ما يسرني لو مت طفلاً وادخلت الجنة ولم اكبر فأعرف ربي عز وجل)[٣١].

وعنه (ع): ((معرفة الله سبحانه اعلى المعارف)) [٣٢].

وعنه أيضاً: ((من عرف الله كملت معرفته)) [٣٣].

وقال (ع): ((العلم بالله افضل العلمين)) [٣٤]

وكلامه (ع) يدل على اهمية معرفة الله فهو يفضل ان يكبر ويعرف الله بدلاً من ان يموت وهو طفل ويدخل الجنة وهو يعبر عن معرفة الله كمال المعرفة بصورة عامة وكلام الامام امام الكلام .

طرق معرفة الله :

قال سيد العارفين الامام علي بن ابي طالب (ع) :

((الحمد لله الملهم عباده حمده وفاطرهم على معرفة ربوبيته)) [٣٥] فالمولى عز وجل هو يفطر عباده على عبادته ويسهل لهم طرق معرفته والوصول اليه ويرزق عبادهِ المخلصين حمده وشكره حتى يتم عليهم نعمته ويزيدهم من رزقه .

ويقول (ع): ((ان افضل ما توسل به المتوسلون الى الله سبحانه الايمان به وبرسوله والجهاد في سبيله فإنه ذروة الاسلام وكلمة الاخلاص فإنها الفطرة، واقام الصلاة فإنها الملة))[٣٦] .

ويقول امير المؤمنين في دعائه: ((اللهم خلقت القلوب على ارادتك، وفطرت العقول على معرفتك، فتململت الافئدة من مخافتك، وصرخت القلوب بالوله، وتقاصر وسع قدر العقول عن الثناء عليك، وانقطعت الالفاظ عن مقدار محاسنك، وكلت الالسن عن احصاء نعمك، فإذا ولجت بطرق البحث عن نعتك

بهرتها حيرة العجز عن ادراك وصفك، فهي تردد في التقصير عن مجاوزة ما حددت لها، اذ ليس لها ان تتجاوز ما امرتها))[٣٧].

خصائص العارفتن وصفاتهم في كلام امير المؤمنتن (ع) :

قال علي (ع): ((العارف من عرف نفسه فأعتقها ونزهها عن كل ما يبعدها ويوبقها))[٣٨].
وقال (ع): ((العارف وجهه مستبشر متبسم وقلبه وجل محزون))[٣٩].
وقال (ع): ((الخوف جلباب العارفين))[٤٠].
وقال (ع): ((العارف شخصه مع الخلف وقلبه مع الله ولو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً اليه))[٤١].

ومن أدعية الرسول الأعظم (ص) :

((يا من لا يبعد عن قلوب العارفين))[٤٢].
((يا من هو غاية مراد المريدين يا من هو منتهى همم العارفين))[٤٣].
وقال (ص): ((لكل شيء معدن، ومعدن التقوى قلوب العارفين))[٤٤].

موانع معرفة الله :

1- الذنوب:

كثرة الذنوب تحجب الانسان عن معرفة ربه ففي الكافي: ((عن محمد بن يزيد الرفاعي رفعه: ان امير المؤمنين (ع) سُئِل عن الوقوف بالجبل، لمَ لم يكن في الحرم؟ فقال: لأن الكعبة بيته والحرم بابه، فلما قصدوه وافدين وقفهم بالباب يتضرعون .قيل له: فالمشعر الحرام لمَ صار في الحرم؟ قال: لانه لما اذن لهم الدخول وقفهم بالحجاب الثاني، فلما طال تضرعهم بها اذن لهم التقريب قربانهم، فلما قضوا نفثهم تطهروا بها من الذنوب التي كانت حجاباً بينهم وبينه، اذن لهم بالزيارة على الطهارة))[٤٥].

2- الغفلة:

ان من الحجب التي تمنع معرفة الله هي غفلة الانسان وانشغاله بإهوائه من دعاء للامام علي (ع) علمه نوف البكالي: ((الهي تناهت ابصار الناظرين اليك بسرائر القلوب، وطالعت اصفى السامعين لك نجيات الصدور، فلم يلق ابصارهم رد دون ما يريدون، هتكت بينك وبينهم حجب الغفلة فسكنوا في نورك وتنفسوا بروحك))[٤٦]

3- أمراض القلب :

عن الامام علي (ع): لو فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا الى الطريق، وخافوا عذاب الحريق، ولكن القلوب عليلة، والبصائر مدخولة، الا ينظرون الى صغير ما خلق، كيف احكم خلقه، واتقن تركيبه، وخلق له السمع والبصر، وسوى له العظم والبشر، فالويل لمن انكر المقدر، وجحد المدير، زعموا انهم كالنبات مالهم زارع، ولا لاختلاف صورهم صائغ، ولم يلجئوا الى حجة فيما ادعوا، ولا تحقيق لما أوعوا، وهل يكون بناء من غير بان، او جناية من غير جان؟[٤٧].

4- حجاب الخلق :

يقول امير المؤمنين (ع): ((لا تشمله المشاعر، ولا تحجبه الحجب، والحجاب بينه وبين خلقه خلقه اياهم، لامتناعه مما يمكن في ذواتهم، ولا مكان مما يمتنع منه، ولافتراق الصانع من المصنوع، والحاد من المحدود، والرب من المربوب))[٤٨].

ما يمتنع في معرفة الله :

1- معرفة الله بالحواس:

لا يعرف الله عز وجل بالحواس فهو ليس بجسم .

- عن علي بن عقبة: (سُئل امير المؤمنين (ع) بم عرفت ربك؟ قال عرفني نفسه، قيل: وكيف عرفك نفسه؟ قال: لا يشبهه صورة، ولا يحس بالحواس، ولا يقاس بالناس) [٤٩].
- وعنه (ع) في صفة الله سبحانه – لم تقع عليه الاوهام فتقدره شبحاً مائلاً، ولم تدركه الأبصار فيكون بعد انتقالها حائلاً، كلت عن ادراكه طروف العيون، وقصرت دون بلوغ صفته اوهام الخلائق[٥٠].

وفي خطبة له (ع) يقول: (لم ينته اليك نظر، ولم يدركك بصر، ادركت الأبصار، واحصيت الاعمال)[٥١].

2- احاطة القلب به:

يمتنع ان يحيط قلب الانسان بالله سبحانه وتعالى فقد قال الامام (ع): (لا تناله التجزئة والتبعيض، ولا تحيط به الابصار والقلوب) [٥٢].

وعنه (ع): عظم عن ان تثبيت ربوبيته بإحاطة قلب او بصر[٥٣].

3- معرفة كنه ذاته :

تتجلى في كلام سيد البلغاء (ع) مخاطباً الله عز وجل :

((كلت الاوهام عن تفسير صفتك، وانحسرت العقول عن كنه عظمتك، وكل دون ذلك تحبير اللغات، وضل هنالك التدبير في تصاريف الصفات، فمن تفكر في ذلك رجع طرفه اليه حسيرا، وعقله مبهورا، وتفكره متحيرا))[٥٤].

ومن خطبة له (ع): ((الحمد لله الذي اظهر من اثار سلطانه وجلال كبريائه ما حير مقل العقول عن عجائب قدرته، وردع خطرات هماهم النفوس عن عرفان كنه صفته))[٥٥].

4- توصيفه بغير ما وصف به نفسه:

يمتنع من معرفة الله من يصفه بغير ما وصف به نفسه فعن امير المؤمنين(ع): ((من وصف الله فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن عده فقد ابطل ازله، ومن قال: اين؟ فقد عياه، ومن قال علام؟ فقد اخلا منه، ومن قال فيم؟ فقد ضمنه))[٥٦].

عن الامام علي (ع) في خطبة له: ((كمال توحيده الاخلاص له، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة انها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف انه غير الصفة، فمن وصف الله فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد اشار اليه، ومن اشار اليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال فيم؟ فقد ضمنه[٥٧]. ومن قال: علام؟ فقد اخلى منه)).

الفصل الثاني

اسمه ونسبه الشريف:

ينتهي نسب اليد الى الامام علي (ع) فهو ((السيد عبد الاعلى بن السيد علي رضا بن السيد عبد علي بن السيد عبد الغني بن السيد محمد بن السيد حسين بن السيد محمد بن السيد علي بن السيد مسعود الملقب بعيشي بن ابراهيم بن حسن بن شرف الدين بن مرتضى بن زين العابدين بن محمد بن احمد بن محمد بن احمد شمس الدين بن احمد بن علي بن محمد ابي الغنائم بن ابي الفتح الاخرس بن ابي محمد ابراهيم بن ابي الفتيان بن عبد الله ابي الحسن بركة بن ابي الحسن معصوم بن ابي الطيب احمد بن الحسن بن محمد الحائري بن ابراهيم المجاب بن محمد العابد بن الامام موسى بن جعفر بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب صلوات الله عليهم اجمعين))[٥٨].

ولادته :

اختلف المحققون في تحديد ولادته فذهب بعضهم الى الى انه ولد في مدينة سبزوار سنة 1326هـ[٥٩]، وذهب اخرون الى انه ولد في سنة 1327هـ[٦٠]، والقول الراجح انه ولد 1329هـ الذي ذكره صاحب كتاب (المنتخب في اعلام الفكر والادب)[٦١] وقد شاء الله ان يولد المولى في يوم 18 من ذي الحجة وهو يوم عيد الغدير الاخر اليوم الذي اتم الله نعمته فيه واكمل دينه بولاية امير المؤمنين وقد اضاف هذا اليوم على السيد جلابيب الخير[٦٢].

أُسرته :

ينتمي السيد السبزواري الى اسرة علمية عريقة معروفة بالعلم والتقوى والورع، حتى قيل: ان هذه الاسرة الشريفة لا يمر بها عصر من العصور الا وفيها من رجالات العلم المجتهدين [٦٣] وقد تخرج منها غير واحد من فطاحل العلماء والافاضل منهم :

١. **والد السيد عبد الاعلى السبزواري :**
هو سماحة العلامة المجتهد السيد علي رضا السبزواري من اكابر علماء سبزوار كان معروفاً بالزهد والورع[٦٤].

٢. **عم السيد عبد الاعلى السبزواري :**
هو السيد عبد الله السبزواري وهو عالم جليل وخطيب متكلم وفاضل ولد 1300هـ وتوفي 1384هـ كان معروف بالبرهان[٦٥].

٣. **اخو السيد عبد الاعلى السبزواري :**
هو سماحة العلامة المجتهد فخر الدين السبزواري وهو احد مفاخر مدينة سبزوار[٦٦].

٤. **جد السيد عبد الاعلى السبزواري لامه :**
هو الميرزا عبد العلي السبزواري له (شرح دعاء كميل) المعروف المتداول[٦٧].

وقد نشأ السيد السبزواري (قده) بين احضان هذه الاسرة، التي عرفت بالعلم والفضيلة والقداسة والطهر حتى اشتد ساعده على العلم والتقوى فكان خير خلف لخير سلف ومثالاً حياً لأبائه.

نشأته ودراسته:

نشأ السيد السبزواري في ظل الوالد المبارك محاطاً برعايته فتلقى قسماً من العلوم على يد سماحته وعنده انهى مرحلة المقدمات وهو في السادسة من العمر[٦٨].

ثم تولى ابوه وبعض تلاميذه تلقينه الاوليات من علوم النحو والصرف فحفظ الفية ابن مالك وحاشية المولى عبد الله في المنطق وبعض الاراجيز العلمية ومتون الفقه[٦٩].

وبعد ان اتم السيد مرحلة السطوح في سبزوار قرر والده ارساله الى مشهد المقدسة ليكمل دراسته في حوزتها العلمية العريقة فحضر دروس علمائها في العرفان والفلسفة والفقه والتفسير والاصول[٧٠].

يقول السيد السبزواري: ((جاء بي والدي الى حرم الامام الرضا (ع) ووضع يده على ضريحه مخاطباً الامام الرضا (ع): هذا وديعة وامانة عندك، اطلب منك ان أراه مرجعاً من المراجع....)) [٧١] وبعدها اخذه الى احدى المدارس الدينية وائتمن عليه بعض الشيوخ من معارفه، فأتجه بكله الى العلوم بكل رغبة وشوق وتتلمذ على كبار الاساتذة منهم :

1- الاديب النيسابوري الاول وقد تعلم منه علم الادب .
2- آية الله الشيخ محمد حسن البرسي وقد تعلم منه الفقه والاصول .
3- آية الله اغا الحكيم وتعلم منه الفلسفة والحكمة[٧٢].
4- آية الله الشيخ محمد العصار وتعلم منه الفلسفة والحكمة أيضاً .
5- الشيخ حسن علي الاصفهاني (المقدادي)[٧٣].

بعد انهاء مرحلة السطوح العليا هاجر الى مدينة النجف الاشرف معقل العلم وقبلته عام 1345هـ، فحضر على اكابر علمائها وفطاحل فقهائها فقهاً واصلاً متفقاً في ذلك بياض نهاره وسواد ليله[٧٤].

شيوخه :

ومن مشاهير شيوخه :

١. الامام المؤسس المحقق الميرزا الشيخ محمد حسن النائيني (قده).
٢. الامام آية الله العظمى ابو الحسن الموسوي الاصفهاني (قده).
٣. الامام آية الله العظمى المحقق آغا ضياء الدين العراقي (قده).
٤. الامام آية الله العظمى المحقق الشيخ محمد حسين الاصفهاني (قده).
٥. آية الله العظمى السيد حسن البادكوني (قده)[٧٥].
٦. الامام الحجة السيد علي القاضي الطباطبائي التبريزي (قده)[٧٦].
٧. الشيخ محمد جواد البلاغي (قده)[٧٧].
٨. آية الله الشيخ عبد الله المامقاني (قده).
٩. العلامة الشيخ أغا بزرك الطهراني (قده).
١٠. المتحدث الشيخ عباس القمي (قده)[٧٨].

تلامذته :

فنذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر لان استقراءهم جميعاً يكاد من الامور المتعسرة عادةً :

1- الشيخ محمد علي التوحيدي التبرزي (قده) وهو مجتهد فاضل وعالم جليل له مؤلفات كثيرة[٧٩].
2- السيد عبد الكريم الكشميري (قده) وهو عالم رباني وعارف[٨٠].
3- السيد محمد كلانتر (قده) وهو عالم فاضل ومؤلف جليل[٨١].
4- محمد جواد فضل الله (قده) وهو عالم جليل له مؤلفات ثمينة[٨٢].
5- السيد علاء الدين الغريفي: المولود في بغداد وله مؤلفات عديدة[٨٣].
6- الشيخ طالب الخليل (قده) حضر الدراسات العليا على يد كثير من العلماء وله مؤلفات عديدة[٨٤].
7- السيد محمد الحسيني الغروي: عالم فاضل له عدة مؤلفات[٨٥].
8- الشيخ نور الدين الواعظ (قده) من العلماء الاجلاء ولد في الكاظمية عام 1352هـ[٨٦].
9- السيد محمد الخرسان الموسوي (دام موفقاً) عالم وفاضل ولد في النجف الاشرف عام 1364هـ[٨٧].
10- نجله المرحوم آية الله السيد محمد السبزواري (قده) الذي كان من اساتذة الفقه في النجف[٨٨].
12- نجله آية الله السيد علي السبزواري الذي هو الان من اعلام الحوزة العلمية في النجف وجهابذة المدرسين في الفقه والاصول[٨٩].

وما تم ذكره من الاعلام لا يمثل الارقام الكلية من الذين تخرجوا من مدرسة السيد السبزواري والتي دامت خمسة عقود متوالية تخرج فيها كبار الفقهاء والمجتهدين والفضلاء والمحققين الذين اخذوا على عاتقهم مواصلة المسيرة العلمية لخدمة الاسلام والمجتمع .

مرجعيته :

كانت الانطلاقة الاولى لمرجعية السيد السبزواري عام 1380هـ أي بعد وفاة المرجع السيد آغا حسين الطبطبائي البروجردي (قده) وطبع رسالته العملية باللغة الفارسية[٩٠].

ثم اتسعت دائرة تقليده وازداد المقلدون له بعد وفاة السيد الحكيم (قده) عام 1390هـ .

وطبع رسالته العملية باللغة العربية الموسومة بـ (منهاج الصالحين) بعد التماس الناس، ثم ازداد المقلدون كثيراً، فطلب منه ان يؤلف رسالة وجيزة في الاحكام الشرعية فطبع رسالته (جامع الاحكام الشرعية)[٩١].

وبعد وفاة المرجع الاعلى للشيعة السيد الخوئي (قده) اتسع نطاق مرجعيته السيد السبزواري واتجه العالم الشيعي لتقليده، وارتفع رقم طبعات رسالته العملية من الثالثة الى الثامنة[٩٢] مما يدلل على إقبال الناس على تقليده.

وكان مجلس الفتوى للسيد السبزواري يتألف من ثلاثة اعضاء :

1- سماحة آية الله العظمى السيد علي البهشتي: المولود عام 1319هـ، تخرج على يد عمالقة الفقه واساطين الاصول توفي عام1424هـ[٩٣].
2- سماحة آية الله العظمى الشيخ الميرزا علي الفروي: المولود 1334هـ، من كبار مراجع التقليد في مرحلة ما بعد السيد الخوئي قتل ليلة الجمعة 25 صفر 1419هـ[٩٤].
3- سماحة العلامة الحجة السيد علي السبزواري وهو نجل السيد عبد الاعلى.

أثاره العلمية :

للسيد السبزواري مؤلفات عدة في شتى العلوم وأنَّ فيها سراً عظيماً فالمطالع فيها يجد تأثيرها عظيماً عليه وما ذلك الا لانها خرجت من القلب .

ويروي احد المؤمنين انه رأى السيد السبزواري في المنام وهو بأحسن حال، وطلب منه ان يبين له ما جرى عليه في الليلة الاولى من دفنه، فقال: كنت جالساً في غرفتي فدخل امير المؤمنين (ع) وكانت مؤلفاتي حولي، فأخذ واحداً منها فورّقه وتصفحّه، فقال (ع): نعم ماكتبت، وذكر هذا الشخص انه قال للسيد: اذا سألني احد عن كتبك ومؤلفاتك، انها مرضية عند الحجة (عجل) فبماذا أُجيب؟ فقال: ان امير المؤمنين (ع) قال: انها حسنة[٩٥].

مؤلفاته في الحديث والرجال :

1- حاشية على بحار الانوار للشيخ المجلسي (قدس سره).
2- تعليقه على الوافي للفيض الكاشاني (قدس سره).
3- اختلاف الحديث .
4- تعليقه على اسناد وسائل الشيعة للحر العاملي (قدس سره).
5- مباحث مهمة في ما تحتاج اليه الامة[٩٦].

مؤلفاته في الاصول :

1- تهذيب الاصول: دورة اصولية كاملة تقع في مجلدين .
2- رفض الفضول في علم الاصول[٩٧].

مؤلفاته في الفقه :

1- مهذب الاحكام في بيان الحلال والحرام، وهو شرح استدلالي على كتاب (العروة الوثقى للسيد اليزدي) مع اضافة المتن وشرحه لبعض الابواب الناقصة، يقع في ثلاثين مجلد .
2- تعليقه على كتاب جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام للشيخ محمد حسن الجواهري (قدس سره) ويقع في ثلاثة واربعين مجلد .
3- تعليقه على كتاب العروة الوثقى للسيد محمد كاظم اليزدي (قدس سره) يقع في مجلدين[٩٨].
4- احكام العدد في الوطئ المحرم .
5- تعليقه على الحدائق الناضرة في احكام العترة الطاهرة للفقيه يوسف البحراني (قدس سره) .
6- تعليقه على مستند الشيعة للمولى الشيخ احمد التراقي .
7- جامع الاحكام الشرعية وهو عبارة عن رسالته العملية تقع في مجلد واحد .
8- تعليقه على وسيلة النجاة للسيد ابي الحسن الاصفهاني (قدس سره) تقع في مجلدين .
9- تعليقه على منهاج الصالحين للسيد محسن الحكيم (قدس سره) تقع في مجلدين
10- مناسك الحج[٩٩].

مؤلفاته في الحكمة المتعالية :

١. تعليقه على كتاب الحكمة المتعالية المعروف بالاسفار لصدر المتألهين الشيرازي
٢. افاضة الباري في نقض ماكتبه الحكيم السبزواري .
٣. تعليقه على الكتاب الدراسي المشهور المنظومة للملا هادي السبزواري .
٤. لباب المعارف [١٠٠].

مؤلفاته في التفسير :

1- مواهب الرحمن في تفسير القرآن: يقع في ثلاثين مجلداً ومما يمكن ان سبب تسمية كتاب التفسير بمواهب الرحمن، انه قبل سنوات عدة من تأليف الكتاب رأى السيد السبزواري رسول الله (ص) في عالم الرؤيا، وقد اعطاه نسخة من المصحف الشريف، قائلاً له: (خذ مواهب الرحمن) وبناءً على تلك الرؤيا سمى تفسيره الجليل بهذا الاسم(4).
2- حاشية على تفسير الصافي للفيض الكاشاني (قدس سره) .

وفاته :

اشتد المرض على السيد السبزواري في ايامه الاخيره بسبب مشاكل الحوزة العلمية وزحمة الاعمال العلمية فأخذت صحته بالانهيار وكان الناس يتوافدون لزيارته والاطمئنان على صحته، وكانت صحته غير مستقره تتحسن بعض الشئ ثم

تعود فتنعكس الى ان وافاه الاجل المحتوم في داره بالكوفة في حدود الساعة السابعة من صباح يوم السبت السابع والعشرين من شهر صفر 1414 هـ على اثر نزيف دموي داخلي [1] وقد ترك فقده في نفوس المؤمنين لوعة ومني الاسلام بخسارة لا تعوض، وفقدت الطائفة والحوزه العلمية في النجف رجلا من رجال الله يصعب على الزمن ان يأتي بمثله، وهكذا صح الحديث النبوي ((اذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الاسلام ثلمه لا يسدها شئ)) .[2]

وقد كانت مرجعيته قصيرة جداً والملاحظ في الحوزه العلمية في النجف ان المجتهد لا يصل الى منصة الافتاء وكرسي المرجعية العامة الا بعد ان يستوفي الشروط المطلوبة كافة، ونسمع فيه شهادات الكبراء وبذلك تطول فترة التزكية ويكون قد وهن العظم منه واشتعل الراس شيبا ولا يلبث بعدها طويلا [3] .

ويقول السيد الطالقاني: ((واعتقد جازما بان هذه الفترة القصيرة التي تولى فيها سيدنا السبزواري المرجعية العامة، لم تكن الا تزكية خاصة له من الله عزوجل، فقد عرف عن سيدنا انه يؤثر العزلة، ويحب الانزواء، ويميل الى الترسل وعدم الانشغال بما يبعده عما خلق له من عباده وتأليف وتدريس، وقد يظهر ذلك غيره ويبطن خلافه فأراد الله وهو العارف بأسراره ان يكشف للناس واقعه ويظهر لهم مكنونه وصحة دعواه وصدق سيرته فمنحه هذه الفرصة القصيرة فدانت له دنيا الاسلام، وخضع له الكبراء وجبيت له الاموال، ورآه الناس هو هو لم يبد عليه تبدل او يلحظ تقصير او زهو او بطر وغير ذلك مما قد يبتلي به البعض في مثل تلك الحال، وعندها قبضه الله عبداً صالحا ومخلصا وطائعاً ووليا وعارفاً واذا كان هناك من لم يعرفه ولم يسمع به فيما مضى فقد عرفه الان جيداً والاولياء مخفيون وان الله اخفى اولياؤه في عباده فأذا اشتهروا ارتحلوا، وهذا ما جرى لامامنا المقدس نضر الله وجهه)) [4].

الجانب العبادي عند السيد السبزواري :

للسيد عبد الاعلى سمات عبادية خاصة بشخصيته منها :

السمة الأولى: حب الصلاة :

كانت الصلاة قرة عينه وأنس قلبه وسلوة نفسه وذكر الله في كل آن دمه الذي يسري في عروقه الشريفة، لا يمل منه ولا يكل الا للضروريات واي ضروريات تحول بينه وبين الاتصال بالله تعالى وكل انفاسه وحركاته وسكناته عباده وذكر[١٠١].

ويصرح السيد عنها في مواهبه: ((بها تفتح ابواب الغيوب وبها تطمئن القلوب وبها ترفع الدرجات، وفيها المناجاة برفع الاستار، وتتسع فيها ميادين

الاسرار، وبها تشرق شوارق الانوار، وبها تُزال الحجب والاستار بالقرب اليه عز وجل، وبها تصفو المحبة من كدر الجفاء، ويتصل المحب مع حبيبه في محل الصفا))[١٠٢].

السمة الثانية: المداومة على الطهارة :

كان السيد السبزواري مديماً على الوضوء والاغسال المستحبة محافظاً على الطهارة في كل الاوقات وذلك لانه كان يرى في الطهارة نوراً، فقد روي عن الامام الصادق (ع): ((الوضوء على الوضوء نوراً على نور))[١٠٣].

وكان يعتقد كما صرح بذلك في موسوعته الفقهية بأن ((الوضوء انما هو نحو نورانية للنفس ونورانية النفس راجحة ومطلوبة في كل الانات الزمانية))[١٠٤].

السمة الثالثة: الذكر

كان السيد السبزواري لهجاً بذكر الله تعالى في ليله ونهاره، فلا يحرك لسانه الا بذكر الله تعالى، فهو يرى ان الذكر: ((من اجل مقامات العارفين، بل هو من اعظم مظاهر حبّ الحبيب لمحبوبه، فإن من أحب شيئاً اكثر من ذكره، ومن علامات الحبيب الاستمتاع بذكر حبيبه))[١٠٥].

السمة الرابعة: الرياضة النفسية :

كان السبزواري يجاهد نفسه ويروضها في كل حالاته، اقتداءً بأمير المؤمنين (ع) الذي قال:

((وانما هي نفس اروضها بالتقوى لتأتي آمنةً يوم الخوف الاكبر)) [١٠٦]

لذلك فإنه قليل النوم، بحيث انه لا ينام في اليوم والليلة اكثر من ثلاث ساعات، وقليل الطعام، تاركاً للمكروهات، وفاعلاً للمستحبات، ولا يُعطي نفسه ما تشتهي من الامور المادية الدنيوية[١٠٧].

السمة الخامسة: الارتباط بأهل البيت :

علاقة السيد السبزواري بأهل البيت (ع) لا توصف، فهو عاشق لهم مولع بذكرهم، متفانياً بولائهم الى ابعد الحدود فلا يعشق شيئاً الا بهم وفيهم واليهم[١٠٨].

ومما يعكس علاقته بالمعصومين كلامه المذكور في كتابه ومما جاء فيه: ((ولا ريب في ان لسيد الانبياء بالمعصومين (ع) ارفع الدرجات على سائر المرسلين (ع) لما ورد عنه (ص) ادم من دونه تحت لوائي يوم القيامة وفي الدنيا أيضاً كون العلة الغائبة للخليقة مطلقاً، وقد ثبت في محله ان العلة الغائبة علّة فاعلية بوجودها العلمي وغائبه بوجودها الخارجي))[١٠٩].

قيمة الفكر العرفاني عند السيد السبزواري :

السيد السبزواري هو احد روّاد الفئة العرفانية التي ترى ان العرفان احد العلوم الاسلامية التي تغني الحركة الفكرية والعلمية، يرى بأن الفكر العرفاني من العلوم المهمّة للوصول الى الحقائق، وان كان ضيّعة بعض وتجاهله آخرون .

فتجده في بحوثه العرفانية يعيش نفثات حارّة مختزنة في داخله، يأسف فيها على اولئك النفر الذين أضاعوا هذا العلم الشريف وتجاهلوا مقامه [١١٠] فتقرأ قوله – مثلاً – في ختام احد ابحاثه العرفانية ((والبحث نفيس جداً لو وجدت لهذا العلم الشريف حملة))[١١١].

وفي موضع آخر: ((والغور في البحث مستلزم للخروج عن الموضوع، ولم أرَ مَن يليق بذلك في زماننا هذا))[١١٢].

وبتعبير اخر في موضع ثالث يقول: ((ولكلّ من هذه الامور مراتب ودرجات وحدود، ولولا قول نبيّنا الاعظم (ص واله): (المؤمن ملجم) لكان لغور البحث فيها مجال))[١١٣].

ويقول السيد في كلماته الشريفة: ((العرفان علم جليل ليس له مثيل في سائر العلوم مطلقاً في الشمولية والسعة والاثار، والسالك في المسلوك فيه والمقصد والغاية، وكلّها جلائل عظام، والبحث في كلّ واحدة منها يقصر عنه الافهام، إلاّ لمن كان ذا حظ من العلم والمعرفة، وهم الانبياء العظام والاوصياء الكرام، فهم الاصل في هذا العلم الجليل، والقدوة في هذا الطريق))[١١٤].

العرفان ومنهجيتهُ عند السيد السبزواري :

لكل عالم منهجية خاصة يسلكها في اخلاقياته فالسيد السبزواري يرى ان اول طريق ينبغي على السالك ان يضع عليه قدمه هو وجود مرشد حتى لا تكون نتيجة السالك ضياع لان الطريق الى عز وجل شائك وطويل ويحتاج لمن يهديك من متاهات الطريق وعن هذه الجهة يتحدث المولى فيقول: ((ليُعلم انه لا يمكن السير والسلوك الا بعد التزود بالمعرفة والعلوم الحقيقية، والمعلم الذي يرشد الانسان الى طريق استكماله ومن ذلك يُعرف اهمية اهل الذكر في الرجوع اليهم))[١١٥].

كما يحكى عن استاذ العرفاء الشامخين قاطبة السيد القاضي نور الله التستري صاحب كتاب الصواعق المحرقة، واحقاق الحق (قدس) انه قال: ((اهم ما يلزم في هذا الطريق الاستاذ الخبير البصير، الخارج من اسر الهوى، الواصل الى المعرفة الالهية واذا امضى الانسان الذي يطلب طريق الله نصف عمره يبحث عن استاذ هذا الطريق، فإنه يكون مصيباً، فمن وصل الى الاستاذ وحصل عليه فقط قطع نصف الطريق))[١١٦].

فهنا نقول ان لأساتذة السبزواري دور كبير في بناء شخصيته العرفانية فقد سافر الى مشهد المقدسة وتتلمذ على يد اكابر العلماء العرفانيين الروحانيين امثال الشيخ حسن علي الاصفهاني الذي كان مربياً فاضلاً عارفاً فلازمه عشر سنوات ملازمة الظل مريداً له وتابعاً لاقواله وافعاله[١١٧].

اما الطريق الثاني عند السبزواري هو التوبة التي يقول عنها في مواهبه: ((وهي اول منازل السائرين الى الله واساس درجات السير والسلوك الانساني، وهي مفتاح التقرب اليه، والوصول الى المقامات العالية بل لا تتحقق التخلية عن الصفات الرذيلة والتحلية بالصفات الحسنة الا بها، ويكفي في فضائلها انها من صفات الباري عز وجل فإنه التواب الرحيم وقد من على عبيده ان تقرّب اليهم بالتوبة عليهم بعد عنه تعالى بالمعاصي والذنوب)) [١١٨]. فقال تبارك وتعالى: ((كُتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً بجهاله ثم تاب من بعده واصلح فإنه غفور رحيم))(الانعام -54).

ويرى السبزواري ان الطريق الثالث هو طلاق الدنيا وهو من منازل السير الى رب العباد، ومن جهة الاستقامة والبقاء عليه تجتمع فيه سائر المقامات من التحلية والتجلية، بل الفناء والثبات عليه ثبات في الرحمة الواسعة التي لم تزل ولا تزال، ويشتد مقام التوحيد فيعبد الله جلّت عظمته حباً له لا لشوق الوعد ولا لخوف الوعيد))[١١٩].

ولذا قال علماء السير والسلوك: ((ان اول قدم للسالك ان يخرج من الدنيا وما فيها، وان يخرج من النفس وصفاتها))[١٢٠].

والطريق الرابع بنظر المقدس السبزواري هو تطبيق الاحكام الشرعية وعن هذا الجانب يقول في مواهبه: ((وتلك السبل أي سبل التقرب الى الله تعالى والارتباط بعالم الغيب هي الاحكام الشرعية بأقسامها التابعة للمصالح العائدة الينا، والمفاسد التي تضّرنا المجعولة مما وجب حقه علينا، ولذا تكون الاحكام امانات منه تعالى عندنا، لابد من مراعاتها وردّها الى اهلها، وانما جعلت لاجل ارتباط الانسان معه جل شأنه، ولا يحصل هذا الارتباط لو تخلّف احد عن تلك الاحكام ولم يؤد حقها))[١٢١].

ثم ينتقل الى التطبيق الكلي المعبر عنه في كلمات العرفاء بمقام (الطاعة) وهي خامس الطرق والمراد منها الانقياد الكامل مع الاخلاص لجلب رضا الحق وترك ما سواه، فهي الوسيلة للوصول الدرجات الرفيعة السامية والافق القريب منه جل وعلا، وبالطاعة الحقيقية ينال الانسان الدرجات الرفيعة، والمراتب العليا، ويتجاوز عن حدّ الكمال، ويصل الى درجة التكميل، فتكون له المعية في الدرجة لا في الاتحاد، كما في بعض الروايات لان التساوي من كل جهة معه محال كما ثبت في الفلسفة الالهية[١٢٢].

والطريق الذي يلي الطاعة هو جهاد النفس فيتحدث السيد عن اهميته فيقول: ((بل هو اهم شيء اعتنت به جميع الكتب السماوية، خصوصاً القرآن المهيمن عليها، وهو نتيجة دعوة كل الانبياء والمرسلين ولاسيما خاتم الاوصياء (ص) وخلفائه المعصومين (ع) وهو غاية رياضيات العرفاء الشامخين والحكماء المتألهين وهو من هبوط آدم (ع) الى انقضاء العالم))[١٢٣].

وبالخطوة السابعة في طريق السير الى الله تبارك وتعالى يأتي الاخلاص الذي يقول عنه السيد في كلماته الشريفة: ((ويتشرف المؤمن بالاخلاص الى اعلى

مراتب الكمال بلّذة ذل العبودية له تعالى، وبه يخرق الحجب ويصل الى معدن العظمة فعن نبينا (ص) انه سُئل عن الاخلاص فقال (ص): حتى أسأل جبريل فلما سأله قال: حتى اسأل رب العزة، فما سأله قال له: هو سر من اسراري اودعه قلب من أحببت من عبادي لا يطلع عليه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده، وعن علي (ع): ((هو ان تعبد الله كأنك تراه)) فحقيقة الاخلاص يدركها الخلص من عباده، ولكنها لا توصف، والاخلاص من أعلى مراتب التفويض))[١٢٤].

الثامن الصمت وقد قال العرفاء الصمت لازم في كل مراحل السلوك وفي كل الأوقات، يقول الإمام الباقر (ع): ((ان شيعتنا الخرُس)) [١٢٥] وينقل عن الإمام الصادق (ع) في مصباح الشريفة: ((الصمت شعار المحققين، وفيه رضا الرب، وهو من أخلاق الأنبياء وشعار الأصفياء، ومن علم قدر الكلام أحسن من صحبة الصمت ومن أشرف على ما في لطائف الصمت وائتمنه خزائنه كان كلامه وصمته كله عباده ولا يطلع على عبادته هذه إلا الملك الجبار))[١٢٦].

الخاتمة :

ما يمكن استخلاصهُ كنتائج للبحث ما يلي :

1- هناك اختلاف واضح بين العرفان والكرامة من حيث إن الأول هو طريق وسلوك والثاني هو نتيجة .
2- إن العرفان والصّدق يهدفان إلى ترويض النفس والوصول إلى الكمال .
3- العارف هو من يمتثل لطاعات الله "جل وعلا" ويبتعد عن الذنوب والغفلة وأمراض القلب وحجاب الخلق والامتثال هنا من باب: (اعرف نفسك تعرف ربك).
4- ما وجده الباحث إن السيد عبد الأعلى السبزواري (قدس) مثلاً للعارف في العصر الحديث لما فيه من أسرار خفية لا يُعلمها الا الله تعالى .
5- ان السيد عبد الأعلى السبزواري (قدس) قد كتب كثيراً في العرفان والف لما لديه من احاطة في هذا العلم الرباني .
6- ان منهج السيد السبزواري في العرفان يتلخص بوجود المرشد والتوبة التي هي اول المنازل وطلاق الدنيا وتطبيق الأحكام الشرعية التي هي من سبل التقرب الى الله والطاعة والإخلاص والصمت .
7- ان للسيد السبزواري سمات عبادية خاصة بشخصيته منها :- حب الصلاة والمداومة على الطهارة والذكر والرياضة النفسية والارتباط الوثيق بأهل البيت عليهم السلام.

هوامش البحث

(١) ظ / مختار الصحاح، محمد بن ابي بكر الرازي، مادة عرف، 226.
(٢) المنجد في اللغة والادب والعلوم، لويس معلوف، مادة عرف، 498.

(٣) تفسير الميزان، محمد حسين الطبطبائي، 169/6.
(٤) ظ / الشيعة في اسلام، محمد حسين الطباطبائي، 97.
(٥) ظ / الشيعة في الاسلام، محمد حسين الطباطبائي، 98.
(٦) ظ / كرامات مغربية بعيون شرقية، د. صالح حسن الفضاله، 167/94.
(٧) ظ / المصدر السابق ، 168/94.
(٨) ظ / مقالات عرفانية، الشيخ ابراهيم سرور، 24.
(٩) ما هو العرفان، الشيخ مهدي يونس، 31.
(١٠) فلسفة العرفان، د. الشيخ محمد شقير العاملي، 10.
(١١) ظ / تفسير الميزان، 180/6.
(١٢) ظ / ما هو العرفان، 30.
(١٣) نظرات في التصوف والكرامات، محمد جواد مغنية، 6.
(١٤) ظ / المصدر السابق، 9.
(١٥) ظ / المصدر السابق، 11.
(١٦) ظ / المصدر السابق، 12.
(١٧) ظ/ ما هو العرفان، 42.
(١٨) ظ/ علم العرفان، الشهيد مرتضى مطهري، 59.
(١٩) المصدر السابق، 60.
(٢٠) ظ / كيمياء المحبة، محمدي الريشهري، 9.
(٢١) ظ / كيمياء المحبة، 6-7.
(٢٢) ظ / الكلام – العرفان، الشهيد مرتضى المطهري، 77.
(٢٣) ظ / ماهو العرفان، الشيخ مهدي يونس، 44.
(٢٤) ظ / العارف ذو الثقنات، 74.
(٢٥) ظ / علم العرفان، الشهيد مرتضى مطهري، 71.
(٢٦) ظ / علم العرفان، 66.
(٢٧) ظ / ما هو العرفان، 40.
(٢٨) ظ / مستدرك الوسائل، الحاج مرزا حسين النوري الطبرسي، 209/6.
(٢٩) ظ / الامام جعفر الصادق، الحاج حسين الشاكري، 321-334.
(٣٠) ظ / فلسفة العرفان، 9.
(٣١) حلية الاولياء، ابو نعيم احمد بن عبد الله الاصفهاني، 74/1.
(٣٢) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الواسطي، 486، 8989.
(٣٣) المصدر السابق، 431، 7384.
(٣٤) غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي، 1674.
(٣٥) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، 139/1.
(٣٦) نهج اللاغة، الخطبة 110.
(٣٧) بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، 34/403/95.
(٣٨) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، 1878/3.
(٣٩) غرر الحكم: 1985، ح1788.
(٤٠) غرر الحكم: 855، 664.
(٤١) مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، منسوب الى الصادق (ع)، 519.
(٤٢) البلد الامين، الشيخ ابراهيم الكفعمي، 407/411.
(٤٣) مشكاة الانوار في غرر الاخيار، ابي الفضل علي الطبرسي، 256.

(٤٤) ميزان الحكمة، 1889/3.
(٤٥) الكافي، 1/224/4.
(٤٦) بحار الانوار، 12/95/94.
(٤٧) ظ/ نهج البلاغة، الخطبة 185.
(٤٨) الكافي، 5/139/1.
(٤٩) بحار الانوار: 270/3.
(٥٠) ظ / الكافي: 141/1.
(٥١) ظ/ نهج البلاغة: الخبطة 160.
(٥٢) المصدر السابق : الخطبة 85.
(٥٣) المصدر السابق : الخطبة 31.
(٥٤) بحار الانوار: 243/95.
(٥٥) الكافي: 135/1.
(٥٦) الكافي: 140/1.
(٥٧) نهج البلاغة، الخطبة 1.
(٥٨) عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب، السيد جمال الدين احمد بن علي الحسيني المعروف بابن عتبة، 218.
(٥٩) ظ: المرجعية الدنية ومراجع الامامة، الاستاذ نوري الدين الشاهرودي، 156.
(٦٠) ظ: صفحة من حياة الامام السبزواري، محمد حسين الطالقاني ،41.
(٦١) ظ: المنتخب من اعلام الفكر والادب، كاظم عبود الفتلاوي، 202.
(٦٢) ظ: الطاف الباري من نفحات الامام السبزواري، السيد عبد الستار الحسني، 21.
(٦٣) ظ: العارف ذو الثفنات، 1429، 30.
(٦٤) ظ: جمال السالكين ، 14.
(٦٥) ظ: صفحة من حياة الامام السبزواري، 38.
(٦٦) ظ: العارف ذو الثفنات، 31.
(٦٧) ظ: معجم رجال الفكر والادب في النجف، 240/1.
(٦٨) ظ: جمال السالكين، 17.
(٦٩) ظ: صفحة من حياة الامام السبزواري، 41.
(٧٠) ظ: العارف ذو الثفنات، 103.
(٧١) ظ: صفحات مشرقة من حياة الامام السبزواري، السيد ضياء عدنان القطيفي، 72.
(٧٢) ظ: جمال السالكين، 18.
(٧٣) ظ: الطاف الباري من نفحات الامام السبزواري، 29.
(٧٤) ظ: العارف ذو الثفنات، 103.
(٧٥) ظ: جمال السالكين، 19.
(٧٦) ظ: الطاف الباري من نفحات الامام السبزواري، 36.
(٧٧) ظ: المرجعية الدينية ومراجع الامامة، 156.
(٧٨) ظ: جمال السالكين، 19.
(٧٩) ظ: معجم رجال الفكر والادب في النجف، 323/1.
(٨٠) ظ: العارف ذو الثفنات، 116.
(٨١) ظ: المصدر السابق، 121.
(٨٢) ظ: معجم رجال الفكر والادب في النجف، 944/2.
(٨٣) ظ: العارف ذو الثفنات، 125.

(٨٤) ظ: جمال السالكين، 22.
(٨٥) ظ: معجم رجال الفكر والادب في النجف، 916/2.
(٨٦) ظ: العارف ذو الثفنات، 131.
(٨٧) ظ: معجم رجال الفكر والادب في النجف، 492/2.
(٨٨) ظ: الطاف الباري من نفحات الامام السبزواري، 41.
(٨٩) ظ: المصدر السابق، 152.
(٩٠) ظ: الطاف الباري من نفحات الامام السبزواري، 137.
(٩١) ظ: جمال السالكين، 23.
(٩٢) ظ: صفحة من حياة السيد السبزواري، 73.
(٩٣) ظ: العارف ذو الثفنات، 191.
(٩٤) ظ: العارف ذو الثفنات، 184.
(٩٥) ظ :جمال السالكين، 23.
(٩٦) ظ :صفحات مشرقة من حياة الامام السبزواري، 91.
(٩٧) ظ :النجف الاشرف ادباؤها، كتابها، مؤرخوها، عبد الرضا فرهود، م3، 305.
(٩٨) ظ/ الطاف الباري من نفحات الامام السبزواري، 87.
(٩٩) ظ/ جمال السالكين، 24.
(١٠٠) ظ/ جمال اسالكين، 24.
(4) المصدر السابق ،30
(1) صفحة من حياة الامام السبزواري، السيد محمد رضا الطالقاني ،76
(2) بحار الانوار، محمد باقر المجلسي 220/1
(3) صفحة من حياة الامام السبزواري78
(4) المصدر السابق 79 .
(١٠١) ظ: قبسات من مواهبه، السيد محمد تقي الحجار، 16.
(١٠٢) مواهب الرحمن، 230/9.
(١٠٣) مهذب الاحكام، السيد عبد الاعلى السبزواري، 280/2.
(١٠٤) مهذب الاحكام، 283/2.
(١٠٥) مواهب الرحمن، 159/2.
(١٠٦) نهج البلاغة، 45.
(١٠٧) ظ: جمال السالكين، 53.
(١٠٨) ظ: العارف ذو الثفنات، 38.
(١٠٩) مواهب الرحمن، 186/4.
(١١٠) العارف ذو الثفنات، 74 .
(١١١) مواهب الرحمن، 181/2.
(١١٢) المصدر السابق: 163/9.
(١١٣) المصدر السابق: 198/9.
(١١٤) مواهب الرحمن، 543/12.
(١١٥) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، 462/12.
(١١٦) سيماء الصالحين، رضا مختاري ،39
(١١٧) جمال السالكين، 46.
(١١٨) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، 232/2.
(١١٩) مواهب الرحمن ، 29/4.

(١٢٠) المصدر السابق، 163/9.
(١٢١) المصدر السابق ، 339/8.
(١٢٢) العارف ذو الثقنات، 78.
(١٢٣) مهذب الاحكام في بيان الحلال والحرام، 269/5.
(١٢٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، 275/9.
(١٢٥) الكافي، 113/2.
(١٢٦) مصباح الشريعة، 102.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
1- ألطاف الباري من نفحات الأمام السبزواري، الحسني، عبد الستار، مطبعة الكوثر، 1425هـ، ط1، نشر فجر الإيمان .
2- بحار الأنوار ،المجلسي، محمد باقر، مؤسسة الوفاء، ط2، 1403هـ .
3- البلد الأمين، الكفعمي، الشيخ إبراهيم .
4- جمال السالكين، محمد، السيد حسين نجيب، مطبعة شريعت، 1427هـ، ط1 .
5- حلية الأولياء، الأصفهاني، ابو نعيم احمد بن عبد الله .
6- سيماء الصالحين، مختاري، رضا، ترجمة حسين الكوراني، بيروت، دار البلاغ، 1413هـ.
7- الشريعة في الإسلام، الطباطبائي، السيد محمد حسين، بيروت، 1400هـ.
8- صفحات مشرقة من حياة الإمام السبزواري، القطيفي، السيد ضياء عدنان الخباز.
9- صفحة من حياة الإمام السبزواري، الطالقاني، محمد حسن، مطبعة كوثر، ط 1، 1425، الناشر فجر الايمان .
10- العارف ذو الثقنات، القطيفي، السيد ضياء عدنان الخباز، 1429هـ، مطبعة العروة الوثقى.
11- عمدة الطالب في انساب ال أبي طالب، الحسيني، السيد جمال الدين .
12- عيون الحكم والمواعظ، الواسطي، علي بن محمد الليثي، ت ف 6، تحقيق شيخ حسين الحسيني البيجندي، مطبعة دار الحديث .
13- غرر الحكم ودرر الكلم، التميمي، عبد الواحد بن محمد .
14- فلسفة العرفان، العاملي، دكتور محمد شقير، ط1، 1425، دار الهادي للطباعة، بيروت .
15- قبسات من مواهبه، الحجار، السيد محمد تقي، مكتبة المهذب، النجف الاشرف، ط1.
16- الكافي ،الكليني، محمد بن يعقوب، تحقيق علي اكبر غفاري، ط3، 1388هـ .
17- كرامات مغربية بعيون مشرقية، الفضالة، دكتور صالح حسن .
18- الكلام – العرفان ،مطهري، الشهيد مرتضى، الدار الاسلامية للطباعة والنشر، قم.
19- كيمياء المحبة، الريشهري، محمد .
20 ماهو العرفان، - يونس، الشيخ مهدي، ط1، 1428هـ، دار الهادي للطباعة، بيروت .
21- مختار الصحاح، الرازي، محمد بن ابي بكر.
22- المرجعية الدينية ومراجع الامامة ،الشاهرودي، الاستاذ نور الدين، ايران ،مطبعة هادي، 1416، الشارح عبد الرزاق الكيلاني، ط1، 1407، طهران .
23- مستدرك الوسائل، الطبرسي، ميزا حسين بن محمد تقي النوري، طهران 1321هـ .
24- مشكاة الانوار في غرر الاخيار، الطبرسي، ابي الفضل علي .

25- مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، الصادق، جعفر بن محمد، طبع مؤسسة الاعلمي، بيروت 1400هـ .
26- معجم رجال الفكر والادب في النجف، الاميني، الشيخ محمد هادي، بيروت، دار الكتاب الاسلامي، 1413.
27- مقالات عرفانية في السير والسلوك الى الله تعالى، سرور، ابراهيم حسين، دار المتقين للثقافة، الوان للطباعة، ط1، 1431هـ، بيروت .
28- المنتخب من اعلام الفكر والادب، الفتلاوي، كاظم عبود، بيروت، مطبعة المواهب، 1419.
29- المنجد في اللغة والادب والعلوم، معلوف، لويس .
30- مهذب الاحكام في بيان الحلال والحرام، السبزواري، السيد عبد الاعلى .
31- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السبزواري، السيد عبد الاعلى، قم، مؤسسة المنار .
32- تفسير الميزان، الطباطبائي، ت 1402هـ، دار الكتب الاسلامية، طهران .
33- ميزان الحكمة، الريشهري، محمدي، قم 1403هـ، مكتبة الاعلام الاسلامي .
34- النجف الاشرف، ادباؤها، كتابها، مؤرخوها، فرهود، عبد الرضا .
35- نظرات في التصوف والكرامات، مغنية، محمد جواد، ت1400هـ، بيروت.